http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com ◆ العدد (1650) السنة السابعة - الاثنين (9) تشرين الثاني 2009

كتابة على الحيطان

الجيران واغتيال الحياة العراقية

عامر القيسي

اخر التقليعات التي يتبعها جيران العراق في مواقفهم الاخوية من الشعب المسلم الجار المظلوم، هي قطع المياه أو تقنينها، في افضل حالات التعبير عن التضامن مع الشعب العراقي. ربما بامكان المواطن العراقي ان يفهم الكثير من المواقف السلبية من العراق الجديد التي يتخذها اخوة الدم والدين واللغة والتأريخ والمصير المشترك، كما تعلمنا في المرحلة الابتدائية من درس التربية والوطنية، وكما تعلمنا في درس التربية الاسلامية من قول الرسول محمد (ليس منّا من بات شبعان وجاره جائع) او توصياته الانسانية بالغة الحساسية (جارك ثم جارك ثم جارك). هذا فضلا عن كل المواثيق الدولية التي تمنع الايذاء المتعمد أو الاضرار بمصالح الجيران ضمن اطار العلاقات الاقليمية.لكن هذا المواطن نفسه لايستطيع ان يفهم التكاتف، المتفق عليه أو غير المتفق عليه، على تجويع الشعب العراقي واضافة مفردات جديدة لانواع التهجير التي عاناها شعبنا، والتي مازال يعانيها، بسبب سياسات النظام السابق واليوم بسبب سياسات الجيران، سواء على مستوى اعاقة تطور العملية السياسية في البلاد أم في خلق اشكالات جديدة تؤدي في النهاية الى اظهار عجز القيادات السياسية العراقية عن الحفاظ على المصالح الوطنية العراقية. التصريحات عن التضامن مع العراق وشعبه وتجربته الجديدة شبعنا منها حد التخمة، وشعارات الحرص على العراق حفظناها مثل الصفحة الاولى لتعلمنا القراءة والكتابة (دار دور نار نور)!. ولو تحولت الشعارات والتصريحات الى افعال حقيقية من قبل جيراننا الاكارم لكنّا في جنات تجري من تحتها الانهار! الواقع غير ذلك تماما، بل انه معاكس له بمقدار ١٨٠ درجة. ما نلمسه، من دون مجاملة، هو سياسة ايذاء متعمد ومنهجي في كافة مجالات نشاطات الحياة العراقية، محظورات ومعرقلات في السفر، تعقيدات لااول لها ولا آخر لاقامة العراقيين في بلدان الجوار، احتضان للمجموعات الارهابية من كل صنف وتحت كل التسميات، اريحية كرم بلا حدود لكل من يعادي الوضع العراقي، اسلحة للقتل تعبر لقتل العراقيين بالجملة، بما في ذلك الاطفال، دون رقيب، ان لم تكن بعلم ودراية، واخيرا وليس آخرا محاولة اغتيال الحياة بالجملة والمفرد، الحياة الزراعية والحيوانية والبشرية، حتى الافاعي فرّت من المواقع التي خصصتها الطبيعة لها، الى بيوت المزارعين الذين يتهيأون لهجرة ثانية أو عاشرة لاحد يعلم غيرهم!، باحثة عن قطرة ماء أو ظل رطوبة. الكلام المعسول على شاشات الفضائيات واللقاءات الرسمية غير الموت الاجرد الذي تتعرض له الحياة العراقية برمتها، فتركيا صاحبة المنبعين تتلاعب بمقدراتنا كما تشاء حتى يذهب اليها سياسيونا ليقدموا لها كل اشكال التنازلات من مختلف الجوانب حتى تتكرم علينا بامتار مكعبة من الماء ضاربة عرض الحائط كل الاتفاقات الدولية بشأن تقاسم المياه، وايران تحوّل نهرا كاملا عن مجراه لاعتبارات (فنية) فيموت عندنا الزرع والنخل والسمك والنحل والماشية وتهجر القرى، والادهى من ذلك انهم يرسلون الينا بدل ماء الحياة، نفاياتهم لتحيل ماتبقى لنا الى مناطق ملوحة وتلوث!

شكرا للجيران، كل الجيران، على تصريحاتهم التي لم تتوقف حتى لحظة كتابة هذا التحقيق!

والعتب كل العتب الشعبي والنخبوي والوطني على قادتنا الكرام الذين برعوا بسياسة دفن الرؤوس في الرمال حتى لايروا ولا يسمعوا ولا يتكلموا. العتب، كل العتب عليهم وهم يحولون رحلاتهم المكوكية الى عواصم الجيران الى رحلات لتبويس اللحى وليس لوضع النقاط على الحروف وانقاذ من انتخبوهم من تسمية جديدة لهجرة مضنية جديدة تضاف لهجراتنا متعددة الالوان والاشكال!!

مصب نهر الكارون في شط العرب يتحول الى مكب للنفايات الايرانية

هجرة سكانية وتلف المحاصيل الزراعية والثروة السمكية .. والافاعي تلجأ الى بيوت المزارعين !

العراق يستورد الآن 80% من استهلاكه الغذائي بينما كان حتى آواخر الخمسينيات مكتفيا بنسبة 100%من الانتاج الزراعي وباستخدام الوسائل البدائية للزراعة، وخلال الستينيات انخفضت النسبة الى 75% في السبعينيات 67% لتصل ادنى مستوى لها في الثمانينيات بنسبة 30%!.

تحقيق : ايناس طارق

لم يكن يعلم الصياد عبد الله انه بعد مضي عشرة اعوام على ممارسة مهنة صيد السمك، سوف يصبح جليسا دائميا في مقهى مطل على شط العرب يتحدث مع زملائه العاطلين ايضا ومن مختلف المهن، الصياد، المزارع، بائع الخضروات والسمك، وهلم جرا. عبد الله في العقد الرابع من عمره، لديه خمسة اطفال و يسكن مدينة الفاو، هجر ميناء الفاو وذهب بزورقه الى مياه الخليج العربي منافسا بقية الصيادين المنتشرين والباحثين عن رزقهم. يقول عبد الله: اصبح الصيد امرا مستحيلا العام الحالي في شط العرب، بسبب نفوق معظم الاسماك، والسبب ارتفاع نسبة الملوحة، وفضلات تكرير النفط القادمة من ايران، واضاف زميله ستار، وهو صياد ايضا و اب لثمانية اطفال:ان صيد اليوم لايؤمن اكثر من ثلاثمئة دولار في الشهر فيما كان ثلاثة اضعاف هذا المبلغ في السابق. وعلق المزارع شهاب قائلا:

أدى ارتفاع نسبة الملوحة في شط العرب الى اضرار كبيرة للمزارعين اثر فقدانهم المياه العذبة لنهر الكارون الأمر الذي ادى الى هجرة سكانية كبيرة وواسعة لان الارض الزراعية اصبحت غير صالحة للزراعة. فمن اين يؤمن السكان معيشتهم والزراعة مصدر رزقهم الوحيد. الصيادون والمزارعون الآن عاطلون عن العمل ويجلسون طوال النهار في مقهى صغير يطل على شط العرب بانتظار حدوث شيء ما من قبل الحكومة العراقية، والا سوف يهجر الجميع قراهم بحثا عن بدائل ووسائل عمل في المدن لتوفير مستلزمات الحياة اليومية.

طول نهر الكارون

يبلغ طول نهر الكارون من القرنة الى الفاو حوالي ١٩٥ كم ويتراوح اتساعه بين ٤٠٠ م في قاطعه الشمالي الى ١٥٠٠ م عند مصبه كما يبلغ، عمقه ٨ م في اقسامه الشمالية. روافده عديدة اهمها نهر (دز) وتبلغ مساحة حوض هذا النهر حوالي ٦٣٢٠٠ كيلو متر مربع ويبلغ تصريفه السنوي عند محطة الاحواز حوالي ٦٣ م ٣/ث منها ٦٠ ٪ تصرف الى شط العرب والباقي يصرف مباشرة الى الخليج العربي بواسطة قناة بهمشير.

ودلت الاحصاءات المائية لسنوات ١٩٧٧ .١٩٨٧ التي تشمل جميع المحطات المائية الواقعة على شط العرب: ان ٥، ٥٧ ٪ من مياه شط العرب في منطقة القرنة تأتي من نهر دجلة و ٥، ٤٢ ٪ تأتي من نهر الفرات ولكن الاهم من ذلك هو في منطقة الفاو حيث تشكل المياه القادمة من الاراضي العراقية، دجلة والفرات ٧٣ ٪ من مياه شط العرب في تلك المنطقة والباقي ٢٣ ٪ يأتي من نهر الكارون وعلى ضوء هذه الحقيقة يمكن اعطاء الاولوية الى الجانب العراقي في التصرف بالملاحة في شط العرب بدرجة اكبر من الجانب الايراني.

انقطاع مياه نهر الكارون

وادى انقطاع مياه نهر الكارون الى تفاقم ازمة المياه، لانه كان يرفد شط العرب بكميات كبيرة من المياه العذبة. وبحسب تصريحات وزير الموارد المائية، في المؤتمر الذي عقد يوم ٢٠٠٩\٩\١٤ فأن قيام الحكومة الإيرانية باغلاق نهر الكارون يعد تصرفا مخالفا لطبيعة العلاقات بين العراق وايران فضلا عن مخالفته لجميع الاتفاقات الثنائية المائية المعقودة بين البلدين طوال السنوات السابقة والحالية.

وقد أدت ازمة شحة المياه وملوحتها في محافظة البصرة الى القضاء على مساحات واسعة من الأراضي الزراعية فضلاً عن نفوق اعداد كبيرة من الأغنام والأبقار والجواميس وجفاف مزارع الأسماك التي كانت تنتشر بكثرة في قضاء الفاو وبعض مناطق قضاء ابي الخصيب التي اعلن عن كونها مناطق منكوبة من قبل الحكومة المحلية، وذلك بالتزامن مع اتساع رقعة الأزمة لتشمل معظم مناطق المحافظة التي أصبح سكانها يشكون ملوحة مياه الإسالة وانقطاعها عن منازلهم لساعات طويلة وبشكل غير مسبوق.

الترسبات والمواد العالقة

اما بالنسبة للمواد العالقة، فبالرغم من ان معظم المواد العالقة في مياه دجلة والفرات تترسب في منطقة الاهوار الجنوبية قبل ان تصل الى شط العرب الا ان كميات لا بأس بها تصل اليه، لكن مشكلة الرواسب في شط العرب، يحدثها نهر الكارون الذي يجلب سنوياً حوالي ٣٠٢ مليون م ٣/ث من المواد العالقة، الامر الذي يعيق حركة الملاحة لو تركت تلك الرواسب تترسب في قيعان شط العرب اما بالنسبة لنوعية المياه فلها اهمية كبيرة في عمليات الارواء التي تجري على جانب الشط حيث تزداد الملوحة بأزدياد مشاريع التصريف التي تصب في نهر دجلة والفرات اضافة الى زيادة الاستهلاك المائي منها الذي يساعد على زيادة المياه المالحة المتوغلة في الخليج و في شط العرب، وإن ملوحة المياه في شط العرب تتغير من فصل لآخر وذلك تبعا لتباين كمية التصريف حيث تزداد في فصل الجفاف وتقل في فصل الفيضان.

اما بالنسبة لاستغلال مياه الشط بمواصفاتها الميكانيكية والكيمياوية فهي تستخدم لاغراض الاستهلاك البشري اضافة الى الاغراض الصناعية والزراعية وصيد الاسماك والملاحة.

البداية منذ ٢٠٠٣

في تصريح لمدير ادارة الموارد المائية، عون ذياب في المؤتمر الذي عقد في بغداد بتاريخ ٢٠٠٩\١٤ قال:ان السلطات الايرانية بدأت منذ عام ٢٠٠٢، باقامة سدود على نهر الكارون ما ادى الى تدفق المياة، بشكل قليل، ثم ما لبثت ان اغلقت النهر بشكل كامل العام الحالي، وتحويل مجراه الى نهر بهمشير.

واضاف عون «انها تستخدم شط العرب حاليا كمكب لنفايات المصافي ومياه الصرف الصحي ما يسفر عن تلوث كبير وارتفاع نسبة الملوحة» وحذر ذياب من «كارثة بيئية» في شط العرب.

واكد عون ان «انخفاض منسوب المياه في نهري دجلة والفرات بسبب اقامة سدود في تركيا حيث منابعهما ساهم في ارتفاع نسبة الملوحة».

وقال ان ما يحدث لمياه شط العرب هو «ازمة بيئية كبيرة».

ويسفر تحويل مجرى نهر الكارون البالغ طوله ٨٩٠ كيلومترا عن عواقب كبيرة بالنسبة لسكان مدينة البصرة حيث يشار الى ان نسبة تدفق المياه من نهر الكارون باتجاه شط العرب كانت تتراوح بين ١٢٠٠ و ١٨٠٠ متر مكعب في الثانية، وقد يتوقف هذا التدفق في الفترة الاخيرة.

ويؤكد نعمة غضبان منصور رئيس بلدية منطقة السيبة في البصرة:كانت فضلات مصفاة عبادان الايرانية التي تلقى في شط العرب لا تؤثر على المياه والبيئة في السابق لان مياه نهر الكارون تدفع بها الى الخليج، لكن تحويل مجراه اسفر عن تراجع نسبة المياه وتراكم النفايات.

النزوح الجماعي

يقول مدير الجمعية الفلاحية في منطقة سيحان حمدي صالح جبر في تصريح لاحدى الوكالات الاعلامية المحلية: إن أهالي السيبة والمناطق المجاورة لها يعيشون في ظل كارثة بيئية، لافتا إلى وجود نزوح جماعي من الناحية باتجاه مدينة البصرة، وقال: (الحيوانات نفقت والأشجار هلكت والثروة السمكية قضي عليها بسبب النفايات الواصلة من المنشآت الصناعية والنفطية الواقعة في عبادان، وأبلغنا الحكومة المحلية في البصرة عزمنا تنظيم تظاهرة سلمية للمطالبة بحقوقنا ولكن لم نحصل على موافقة، وبالنتيجة المواطن البسيط يدفع الثمن بصمت، والكثير من العائلات أخذت تنزح من ناحية السيبة نحو البصرة!

سكان الاهوار أيضا

فيما كان لسكان الاهوار نصيب من نقمة الحرب المائية التي تشن من قبل تركيا وإيران التي تقطع المياه عن ابرز رافدين لنهر دجلة وهما نهر ديالى ونهر الكارون اللذان يمسان حياة المواطن العراقي في الجنوب بشكل أساسي حيث يعتمد أكثر من ٨٠٪ من سكان الجنوب على الزراعة والعيش على صيد الاسماك من الاهوار وقد ادت قلة المياه أو انعدامها الى هجرة قرى كاملة بسبب الجفاف وظهرت مشكلة أخرى هي هجرة أعداد ضخمة من الأفاعي المائية بسبب الجفاف إلى القرى المجاورة للأهوار ما شكل كارثة إنسانية تضاف إلى كارثة الجفاف التي يعانون منها.

بيوت الافاعي

فيما كشف مدير الزراعة في محافظة البصرة في تقرير حصلت المدى على نسخة منه عن: ان (الجفاف اثر على الاهوار، كلها وبدأنا نشهد هجرة للأفاعي من المناطق الجافة إلى المناطق السكنية والقريبة منها والتي تتوفر فيها بعض الرطوبة، لمرور احد فروع دجلة فيها، فقد بدأت كميات كبيرة من الأفاعي المائية، تعبر الشارع الرابط بين الناصرية/ جبايش منطقة المدينة هربا من الجفاف، وهو أمر ولد رعبا لدى المواطنين، فقد دخلت بيوتهم ومرابط حيواناتهم، وتابع: هنالك عوائل بدأت تترك منازلها خشية ان تتسبب تلك الأفاعي بهلاكات لديهم مما يضيف لمشكلة الجفاف التي يعانونها عاملا سلبيا جديدا. وحال الهجرة الجماعية من القرى إلى المدن بسبب الجفاف لم يقتصر على مناطق الجنوب في العراق ولكن طال حوض الفرات الأوسط حيث تم الإعلان عن هجرة ١٣٣ قرية في ناحية الكفل التابعة لمحافظة بابل جنوب العاصمة العراقية بغداد والواقعة بين ثلاث محافظات النجف وكربلاء وبابل على ضفاف نهر الفرات.

ناحية الكفل والهجرة الجماعية

و كشف مدير ناحية الكفل خالد عبد الحمزة لاحدى وكالات الانباء المحلية عن هجرة جماعية لسكان القرى بسبب الجفاف الذي ضرب قراهم وانخفاض مستوى المياه بنهر الفرات.

و لم يكن نصيب السكان في محافظة أفضل من أخرى، فقد تحولت قرية بكاملها جنوب العاصمة العراقية بغداد من قرية خضراء مفعمة بالنشاط والحيوية إلى مساكن مهجورة وتحول المزارعون فيها إلى عمال للبناء سعيا لطلب العيش وتوفير لقمة العيش لمن يعيلونهم فضلا عن أحالة أطفال قرية الزيتون إلى المستشفيات بسبب شحة المياه الصالحة للشرب وانتشار أمراض الإسهال.

تقرير وزارة الزراعة

وأكد التقرير الذي رفع لوزارة الزراعة من قبل مدير زراعة البصرة ان التراكيز الملحية بدأت بالارتفاع وبشكل ملحوظ في مياه شط العرب، وبالتحديد في منطقة الفاو، اعتبارا من تاريخ ٢٠٠٩\٣\١٥ حيث بلغت (٨٥٠٠)بالمليون وبدأت بالارتفاع حتى وصلت ١٠٠٠٠ بالمليون بالفترة الاخيرة وبدأت بالزحف الى الشمال باتجاه سيحان وابي الخصيب وذلك نتيجة لقلة الايرادات المائية لعمود شط العرب من نهري دجلة والفرات ونهر الكارون والكرخة مما ادى الى تدهور نوعية المياه والتاثير على الواقع الزراعي والذي يؤدي الى التصحر في حالة استمرار هذه الحالة وهلاك الثروة الحيوانية ومزارع الاسماك.

الملوحة والثمار الرديئة

كذلك اكد مدير زراعة البصرة في تقريره، اثر زيادة الملوحة على الانتاج النباتي من حيث موت فسائل النخيل المزروعة حديثا اضافة الى موت عدد كبير من اشجار النخيل، اما الاشجار التي ما زالت حية فهي لم تثمر لهذا الموسم وان اثمرت فالثمار رديئة جدا وغير صالحة للاستهلاك البشري، بل لايمكن استخدامها كأعلاف للحيوانات، واضاف التقرير ان موت كافة محاصيل الخضراوات المزروعة مثل (الطماطة، الباذنجان، الخيار، اللوبيا، الباميا، اضافة الى الخضراوات الورقية وموت نبات الجت المستخدم كأعلاف للحيوانات)، قد أثر سلبا وبشكل كبير على الواقع الزراعي في المحافظة وادى الى ارتفاع اسعار الخضراوات والتمور والأعلاف. واشار التقرير الى ان تغيير مجرى نهر الكارون وزيادة نسبة الملوحة في شط العرب اديا الى نفوق الاسماك الموجودة في احواض الاسماك في منطقة السيبة ونفوق وهجرة الاسماك الموجودة في شط العرب فضلا عن نفوق خلايا النحل في المنطقة وهجرتها الى اماكن اخرى.وهذه الاسباب جميعها ادت الى القضاء على مصادر العيش حيث اغلب السكان من المزارعين الذين يعيشون على ما تنتجه نشاطاتهم الزراعية، اضافة الى ارتفاع تكاليف مياه الشرب والغسل حيث وصل سعر الطن الواحد من الماء الى اكثر من ٢٠ الف دينار.

توصيات مؤتمر البصرة

واكد المهندس الزراعي هادي احمد مدير زراعة البصرة: هناك عدة توصيات اتخذت لتطوير واعداد ستراتيجية للقطاع الزراعي في البصرة بعد ان اصبحت الموارد المائية شحيحة ولكن مع الاسف منذ عام ٢٠٠٨ ولحد الان لم تنفذ تلك التوصيات.ان القطاع الزراعي في العراق عانى مثل بقية القطاعات الاقتصادية، تدهورا مستمرا بحيث اصبح عاجزا عن تأمين نسبة عالية من المنتجات الزراعية التي يتطلبها السوق المحلي والعراق يستورد الان ٨٠٪ من استهلاكه الغذائي بينما كان حتى اواخر الخمسينيات مكتفيا بنسبة ١٠٠٪من الانتاج الزراعي وباستخدام الوسائل البدائية للزراعة، وخلال الستينيات انخفضت النسبة الى ٧٥٪ في السبعينيات ٦٧٪ لتصل ادنى مستوى لها في الثمانينيات بنسبة ٣٠٪. واكدت التوصيات على ضرورة ادخال اصناف مقاومة للملوحة من الحبوب لزراعتها في البصرة مثل الذرة البيضاء ودعم زراعة محصول الجت ومحاصيل العلف الاخرى، لدعم الانتاج الحيواني، وضرورة فحص تربة البصرة والمحاصيل التي تنتج للتاكد من خلوها من التلوث النووي وتقديم شهادات بذلك واعادة ما تم تدميره من مسطحات مائية حيث كانت تستوعب كميات كبيرة وهائلة من المواد والاملاح العالقة التي تحملها مياه نهري دجلة والفرات واخيرا يمكن استيراد مضخات تعمل بالطاقة الشمسية للتغلب على انقطاع التيار الكهربائي الذي يعيق القيام بالاعمال الزراعية من حيث السقي وما شاكل ذلك.